التربية الجمالية عند سانتيانا

Aesthetic education by Santiana

محمد الصالح سعود
قسم الفلسفة جامعة محمد بوضياف- المسيلة
Mohamed saleh saoud
Department of Philosophy, Mohammed Boudiaf University of M'sila
mohamedsaleh.saoud@univ-msila.dz

الدراجي زروخي
قسم الفلسفة جامعة محمد بوضياف - المسيلة
darradji zerroukhi
Department of Philosophy, Mohammed Boudiaf University of M'sila
drradji.zerroukhi@univ-msila.dz

تاريخ الاستلام: 2020/02/17 تاريخ القبول: 2020/04/04 تاريخ النشر: 2020/12/28

- **الملخص:** إن الجمالية في الفكر الفلسفي المعاصر مع الفيلسوف سانتيانا هي امتداد لفكر جمالي قديم وحديث (أفلاطوني) و(كانطي) و(هيجلي)، ويبدو حضور نظرية (هيجل) في الجمال عند (سانتيانا) حاضرا وبقوة من خلال النقد والتجديد فإذا كانت نظرية (هيجل) في الجمال قائمة على العقل إلى درجة المثالية التي تجعل الجمال حكرا على الفلاسفة فإن نظرية (سانتيانا) في الجمال تعتبر تهذيب لهذه المثالية. وهذا لا يعني أن نظرية (سانتيانا) مجرد محاكاة لما جاء به السابقون أمثال (هيجل)، فقد أخذا فكرة الحب عن (أفلاطون) أو (هيجل) لكنه مزجها بنوع من الحس العام، وتعد الجمالية الكانطية نقطة انطلاقة بالنسبة لجمالية (سانتيانا) ويبرز ذلك من خلال تأثره بالنقد الكانطي الذي مزج فيه (سانتيانا) بين الإدراك الحسي من جهة وبين النقد من جهة ثانية في إدراكه للقيم الجمالية. وقد نالت التربية الجمالية السانتيانية حظ من التقدير في فلسفة القيم فلقد أسس نظريته في الفن والجمال على أساس جمع فيه بين الإدراك الحسي والنقد الفني، وبهذا استطاع أن يؤسس نظرية جمالية تفاعلت فيها الإحساسات المتعالية مع تسليط الضوء لأهم عملية عقلية وهي النقد، كعمل واع في تقييم الأعمال الفنية وإدراك أبعادها وماهيات وجواهر القيم، وأهم مقومات التربية الجمالية للعمل الفني هي المادة، الشكل والتعبير. والهدف من هذه الدراسة هو التعرف على دور التربية الجمالية في ضبط سلوك الفرد وتوجيه القيم الإنسانية توجيها سليما واستخدما في هذه الدراسة المنهج التحليلي وأحيانا المنهج المقارن، وتوصلنا

*- المؤلف المرسل: محمد الصالح سعود: mohamedsaleh.saoud@univ-msila.dz

إلى نتائج مهمة أبرزها أن التربية الجمالية اليوم أصبحت براديغم يوجه سلوك الفرد وبقوة وفعالية كبيرة جدا لذا من المهم التحكم في التربية الجمالية والفنية لهيكلة الأفراد وخلق شخصية سوية وبناء مجتمع ذو قيم أخلاقية فاضلة.

- **الكلمات المفتاحية:** الأخلاق، الخير، التربية، الجمال، القيم.

- **Abstract:** The aesthetics in contemporary philosophical thought with the philosopher (George Santayana) is an extension of ancient and modern aesthetic thought (Platonic), (Kantian) and (Hegelian), and it seems that the presence of (Hegel's) theory of beauty at (Santayana) is present and powerfully through criticism and innovation. If Hegel's theory of beauty is based on reason up to the idealism that makes beauty exclusive to philosophers, Santayana's theory of beauty is a refinement of this idealism. This does not mean that Santayana's theory is a simply simulation of what predecessors like (Hegel) imagined, as he took the idea of love from (Plato) or (Hegel), but he mixed it with a kind of common sense. The Kantian aesthetics is considered a starting point for Santayana's aesthetics, and this shows through his influenced on Kantian criticism, by the Kantian criticism, in which (Santayana) blended between sensory perception on the one hand and criticism on the other, in its perception of aesthetic values. The aesthetic education of (Santayana) was appreciated in the philosophy of values, because he established his values, because he established his theory of art and beauty on the basis of a combination of perception and artistic criticism, and was thus able to establish an aesthetic theory in which transcendental feelings interacted with the highlighting of the most important mental process, which is criticism, as a conscious act in evaluation of artistic works and the realization of their dimensions, essences and essences of values, and the most important components of aesthetic education for artistic work are material, form and expression. The aim of this study is to identify the role of aesthetic education in controlling the behavior of the individual and to direct human values in a sound direction. In this study, we used the analytical approach and sometimes the comparative approach, and we have achieved important results, most notably that aesthetic education has become today a paradigm directing the behavior of the

individual with great power and effectiveness, so it is important to control the aesthetic and artistic education to structure individuals, create a normal personality and build a society with virtuous moral values.

Key words: ethics, goodness, education, beauty, values

- مقدمة:

من المتعارف عليه أن الفلسفة تحاول أن توجه حياة هذا الإنسان الجمالية ليرتقي بشعوره وذوقه لكي يصل إلى الجمال والتذوق الجمالي، وهذا ما يصادف ويشمل الموضوعات الجمالية بطبيعتها والأعمال الفنية مثل اللوحات التشكيلية وهذه الأعمال هي من صنع الإنسان في بحثه عن القيم، وشكل الاهتمام بالفن والقيم الجمالية عنصرًا جوهريًا في البحث الفلسفي فقد بحث الإنسان منذ فجر التاريخ عن هذه القيم الجوهرية، معبرا عن فرحه وحزنه، بداية من العصر اليوناني بالضبط في حديثه عن الاسطورة إلى أن وصل الأمر إلى أفلاطون الذي جعل من الجمال هدفا لنيل الفضيلة والخير. أما في العصر الوسيط نجد مثلا "توما الإكويني" قد ربط بين الجمال والإحساس باللذة إلى أن وضع أسس علمية للظاهرة الجمالية والفنية، بحيث كان الفن معبرا عن كل مراحل الفكر الإنساني، وحاولت الفلسفة أن تجعل من تصورها للجمال براديغم موجه للسلوك فتراوحت بين المثالية والواقعية، لكن الملاحظ واقعيا أن فلسفة الجمال المثالية لم تفرض نفسها كبراديغم اجتماعي فعال، وهوما حاولت فلسفة الجمال الواقعية تجاوزه مع جورج سانتيانا الذي يعتبر رائد وعمود من أعمدة الفلسفة الأمريكية المعاصرة بل والفلسفة الغربية بشكل عام لأنه حاول أن يؤسس لتربية جمالية تجمع بين المثالية والواقعية.

- مشكلة الدراسة:

تحتل فلسفة الفن والجمال مكانة هامة في بحوث الفلاسفة المعاصرين، وتسعى هذه الفلسفة إلى بلوغ الكماليات في سلوك الأفراد ونمط حياتهم وطريقة تفكيرهم وصياغة أعمالهم لبلوغ أرقى وأسمى المراتب وهي الإنسانية الحقة، كما تهدف إلى وتهذيب وتربية الذوق الجمالي لدى الأفراد والمجتمعات، وهذا الأمر لا يتحقق إلا عن طريق التذوق الإستيتيقي السليم الخالي من شوائب القبح، وهذا ما ذهب إليه (أفلاطون) الذي رأى أن الجمال هو الزاوية التي من خلالها ندرك كل ما هو مثالي وفاضل، وهوما نادت به أيضا الفلسفة الحديثة مع الفيلسوف الألماني (كانط) الذي رأى بأن الجمال هو الذي يهذب سلوك الإنسان الذي يسعى نحو الكمال، وذلك لا يتم إلا عن طريق تبني القيم الإنسانية المثلى باتحاد الجمال مع الخير، والمعاصرة مع جورج سانتيانا الذي تجاوز الطرح الكلاسيكي الكانطي بانتقاله من علم الجمال والنقد الفني إلى الإحساس بالجمال، ويقصد به ذلك التفاعل بين الذات الإنسانية من جهة والجميل من جهة ثانية، ويتحقق هذا

حسب (سانتيانا) باجتماع عدة آليات أهمها التربية الجمالية وهيكلة الفرد وتنمية ذوقه الفني والجمالي وفق ما يتماشى مع إنسانيته.

ما دفعنا لاختيار التربية الجمالية عند سانتيانا بالدراسة هو تأثير هذا الفيلسوف في الدراسات النفسية والفلسفية من خلال تناوله للجمال كقيم وتربية، وكذلك نلاحظ في واقعنا التأثير الكبير للفن في هيكلة سلوك الأفراد فكانت هذه الدراسة بمثابة البحث عن براديغم جمالي وفني يساهم في تربية الفرد تربية فنية جمالية أخلاقية.

إن التربية الجمالية هي أحد العناصر التي كانت لها مكانة في الاتجاه الغربي خاصة في الفلسفة المعاصرة، حيث تعتبر هذه القيم وأقصد القيم الجمالية على علاقة بالفلسفة، وتستمد أصولها من مشارب فلسفية، وهذه القيم هي فرع مهم من فروع التخصص الفلسفي، بحيث تهتم بطبيعة الفن والعمل الفني ودوره في تهذيب السلوك البشري، والتربية الجمالية هي مصطلح يدل على تخصص من تخصصات العلوم الإنسانية التي تهتم بدراسة الجمال من حيث هو مفهوم في الوجود، ومن حيث هو تجربة فنية في الحياة الإنسانية والجمالية، وهي علم يبحث في معنى الجمال من حيث مفهومه وماهيته ومقاييسه ومقاصده والجمالية في الشيء تعني أن الجمال هو خاصية جوهرية وغاية معلومة وهذا يعالجه (سانتيانا) في فلسفته التربوية الجمالية، محدثا بذلك انقلابا في فلسفة الجمال وفاصلا التربية الجمالية عن الفلسفة. ومن هنا يتولد الاشكال التالي:

- ما هي الغاية من فصل الجمال عن الفلسفة عند (سانتيانا)؟

- أهمية الدراسة:

تتمثل أهمية الدراسة في البحث عن آلية تربوية لتهذيب الذوق الفني الجمالي وإخراجه من دائرة العبثية التي يعرفها الواقع، إذ أصبح من هب ودب يدعي أنه فنان ويصبح بعد ذلك نموذج وقدوة تتأثر به الجماهير ومن ثمة يستطيع هيكلة سلوكهم وبات من الضروري تحرير التجربة الفنية والجمالية من هذا العبث وتأسيس ضوابط أخلاقية لها وهذا ما نجده في فلسفة (سانتيانا).

- أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى تأسيس نموذج فلسفي فعال لتربية الذوق الجمالي عند الإنسان وتجاوز المثالية العالية، وتهذيب الواقعية الساذجة التي شوهت الذوق الجمالي للإنسان، وتسببت في انحطاطه، كما تهدف هذه الدراسة إلى لفت انتباه الباحثين في حقل فلسفة التربية وفلسفة الجمال إلى ضرورة الاهتمام بالطرح الجمالي عند سانتيانا وضرورة تحيينه وتفعيله لهيكلة الذوق الجمالي وتربية الإنسان تربية جمالية تليق بإنسانيته.

- مفاهيم الدراسة:

1- التجربة الجمالية والفنية عند (سانتيانا):

يكفي (سانتيانا) (Santayana) بعض الكلمات التي جاءت على لسان (ول ديورانت) الذي يعد من أهم مؤرخي الفكر الفلسفي حيث يقول" لم تلبس الفلسفة ثوبا جميلا منذ (افلاطون) كما لبسه من جمال اللفظ وروعة الشعر في اسلوب (سانتيانا) كلمات مطعمة بالحكمة، وعبارات ناعمة النسج يعطرها الذكاء، ويحصنها النقد والعقل" (ديورانت، 1988، ص.602). و(سانتيانا) فيلسوف أمريكي من أصل إسباني وهو معاصر ويهتم بفلسفة القيم والفن والجمال.

1-1- ماهية الجمال عند (سانتيانا):

(سانتيانا) فيلسوف متعدد المواهب والاهتمامات ولم يقتصر جهده في الوجود والمعرفة، بل اهتم أيضا بالسياسة والأدب والشعر والدين، بل وأيضا شملت فلسفته القيم ودراسة الحق والخير والجمال، فجاءت نظريته في فلسفة الجمال ليست فقط مكملة لنسقه الفلسفي بل أصبحت هي الأساس الذي أقام عليه صرحه الفلسفي والأدبي والنقدي والتربوي، وهو ما كان يطمح إلى بنائه، وهوفنان موهوب فضلاً عن أنه فيلسوف فن، خصص لدراسة الجمال كتابين خالصين ظهر الأول عام (1896) بعنوان الإحساس بالجمال وظهر الثاني عام (1905) بعنوان "العقل في الفن" ضمن مجموعة كتابه حياة العقل، كما ظهرت له آراء مختلفة نجدها منشورة في كتاباته المتعددة منها على سبيل المثال المقالات الصغيرة وكتابات مختارة أو متناثرة (1936) وتخص قيمتا الخير والجمال بما يسمى عالم الروح، وهو عالم الممكنات التي تظهر في الطبيعة الواقعة ظهورا فعليا، ويستريح الإنسان عندما يجعلها موضوع تأمل نظري، أما الحق فلا يستريح الإنسان إلا إذا وجده ممثلا في الواقع الفعلي الماثل لحواسه. إن الباحث المتخصص في فلسفة الجمال الطبيعية تأخذ على جوانبهما تفسير دعامتين هما: شرح وتوضيح ماهية الجمال، وشرح وتوضيح أين ومتى يحدث هذا الجمال؟ وهذا ما قام به (سانتيانا) وقبل أن تعرف على وظيفة الجمال التربوية وجب أن نتعرف على مفوه الجمال وأسسه عند (سانتيانا).

1-2- تعريف الجمال:

قام (سانتيانا) بعرض عدة تعريفات يقصد فيها الجمال، وذلك من خلال كتابه الإحساس بالجمال الذي يعد بمثابة أول عمل فلسفي بدأ منه (سانتيانا)حياته العملية كمحاضر في جامعة هارفارد حيث صرح قائلا "من السهل أن نجد تعريفا يشرح هذه اللفظة في كلمات معدودة على نحو مفيد، إن الجمال هو الحق، أو هو التعبير عن المثالي أو رمز الكمال الإلهي أو المظهر الحسي للخير" (Singer ,1957, p.34). أو هو المتعة التي تلاحظ كصفة كامنة في الشيء. ونلاحظ هنا أن منطلق سانتيانا في تعريفه للجمال منطلق حسي. هذا ما صرّح به (سانتيانا) والمتعلق بحياته

العملية كمحاضر في جامعة بأمريكا وهي محاولة لترسيخ نظرية علم الجمال، واشرنا سابقا إلى أنه هومن أكبر فلاسفة أمريكا الذين بحثوا في فلسفة الجمال، واعترف بعض فلاسفة أمريكا بقلة درايتهم بفلسفة الجمال مثل (بيرس) الذي رأى أن الشيء الوحيد الذي يكون موقع اعجاب في ذاته هو وجود العقل في الكون، وتدليلا منه على الطبيعة الفنية لذلك النص، وأشار إلى أن ما يقصده بوجود العقل هو تحكمه الفعلي في الحوادث بطريقة تجعل كثرة الأشياء في الأكوان تشكل في النهاية البعيدة المدى كلا متناسقا ومترابطا بدقة.

وقد عاد (سانتيانا) إلى نفس المعنى في حديثه عن فلسفة الجمال حين رأى "أن فلسفة الجمال لا تخرج عن كونها مجموعة من الدراسات المتباينة التي عملت على ايجادها بعض الظروف التاريخية والأدبية، وهذا ما اعتدنا تسميته باسم الخبرة الجمالية" (ابراهيم، 1966، ص.69). إذ أن الخبرة الجمالية ليست مستقلة قائمة بذاتها بل هي خبرة شائعة في الحياة بأسرها، فلا يمكن أن ندرس خبرة جمالية بمعزل عن الخبرات الحيوية الأخرى، وذهب (سانتيانا) إلى أن لفظ استطيقا "ليس إلا مجرد لفظ مائع استخدم حديثا في الأوساط الجامعية للإشارة إلى كل ما يمس الأعمال الفنية والإحساس بالجمال" (ابراهيم، 1966، ص.69). هنا تظهر المفارقة بين التصور العام لمفهوم الجمال عند (سانتيانا) وبين (هيغل)، (فهيغل) جعل من مفهوم الجمال مفهوم فلسفي متعلق بالأفكار والمعاني بينما جعله (سانتيانا) مرتبط بالخبرة الحياتية.

وأكد (سانتيانا) على ما سبق في مقال له موسوم بعنوان ماهية الجمال بقوله "إن فلسفة الجمال هي ببساطة ووضوح عبارة عن علم التعبير والتعبير يتم التعرف عليه بذاته على أساس أنه متطابق مع شكل من أشكال التقدير أو الحدس أو التراكيب الجمالية، فالجماليات التصورية أو الخيالية تتضمن نظرية الكلام ونظرية الإدراك الفكري، ولكن ليس لها علاقة بشكل خاص بالفن أو الجمال أو حتى أي نوع من أنواع التفضيل فالنظام الجمالي قد يكون عبارة عن لعبة تثقيفية، ولكن لا يساهم الجمال بأي نصيب في نظرية المعرفة" (سانتيانا، 1988، ص.58). ومرة أخرى يظهر الفصل عند (سانتيانا) بين الجمال ونظرية المعرفة على عكس ما ذهب إليه (هيغل).

وأكد (سانتيانا)على أن كلمة فلسفة الجمال لا تعني شيئا محددا، إلا أنها عبارة عن مصطلح واسع وشاسع قد تم معالجته مؤخرا في الدوائر الاكاديمية لكي يتعلق بكل شيء يدخل في الاعمال الفنية أو الإحساس بالجمال. ومن خلال تلك الرؤى التي قدمها (سانتيانا) والتي يدين فيها فلسفة الجمال على أساس كونها فلسفة الأجزاء والتكوين، يصل بنا إلى تصور أقرب ما يكون إلى الآراء السابقة التي دحض بها نظرية الجمال، حيث يؤكد على أن فلسفة الجمال هي عبارة عن تصور قائم عن تلك العلاقة الجدلية بين الجمال ومفهوم الخير المطلق أو الخير العقلاني، ولذلك فإن رجل اللاهوت الذي يتأمل العلاقة بين الثالوث المقدس الأب والابن وروح القدس، ليكون

مؤيدا لفلسفة الجمال، لأنها تقوده في هذه الحالة إلى الخير المطلق، ويتضح ذلك فقط من خلال كون الروح القدس هي عبارة عن تعبير عن كمال الحياة التي يتم إدراكها من خلال الجمال.

وبهذا يكون (سانتيانا) قد وضع نظرية تخطيطية لعلم الجمال، والدليل على ذلك "أن علم الجمال يبحث في شروط الجمال ومقاييسه ونظرياته وفي الذوق الفني وفي أحكام القيمة المتعلقة بالآثار الفنية" (ريد، 1998، ص. 354). بينما اتخذ في كتابه العقل في الفن وجهة نظر الفيلسوف الأخلاقي الذي يهتم بتحديد وظيفة الفن في الحياة الإنسانية مبينا دوره في تربية الفرد، لذلك حاول (سانتيانا) استقصاء الظروف التي أدت إلى انعدام التفكير الجمالي في العصور السابقة عليه، فرأى بأن عدم اهتمام الناس بنظرية الجمال لا يرجع إلى "عدم أهمية الموضوع الذي يعالجه، وإنما يرجع إلى عدم وجود دافع كاف يدفع الناس إلى التفكير في الموضوع، وإلى القدر الضئيل من النجاح الذي اسفرت عنه الجهود التي بذلها المفكرون من حين إلى آخر حينما عالجوه" (سانتيانا، 1988، ص.34).

وأن الجمال يتميز بأنه ظاهرة ذاتية بحيث أن كل ما يصدر عن عقل الإنسان إنما هو غير حقيقي وليس مطلقا، وبين (سانتيانا) أن علم الجمال لم يصبح علم عملي "لقد ظل علم الجمال بلا تأثير عملي غالبا، لأن الذين قاموا به لم تتوفر لديهم الظروف المواتية إذ كانوا عدد من الميتافيزيقيين ذوي الجرأة في الرأي، ولم يكونوا نقادا ذوي كفاية فعرضوا لنا مبادئ عامة مستوحاة من أجزاء أخرى من مذاهبهم الفلسفية وجعلوها شروطا للبراعة الفنية والجوهر الجمالي" (سانتيانا، 1988، ص.34)، ونجد أن (سانتيانا) يعطي تبريرا على عدم نضج التفكير الجمالي، كون أن هذه الدراسات قد أوجدتها ظروف تختلف من الناحية الأدبية والتاريخية، والظاهرة الجمالية كما يرى (سانتيانا) هي "موضوع مشترك يتناوله بالبحث كل من الفيلسوف وعالم النفس ومؤرخ الفن والناقد" (سالم، 1978، ص. 84)، إن هذه الظروف المختلفة أدت إلى تعريف الجمال عند (سانتيانا) على أنه قيمة ايجابية نابعة من طبيعة الشيء خلعنا عليها وجود موضوعي، والجمال هو لذة تعدها صفة الشيء ذاته، فحينما نرى بعض المشاهد فنجد أن اللذة قد تجسدت في مواضيع فنقول أن هذه المواضيع جميلة، وهنا نجد بأن (سانتيانا) قد تأثر بالفلسفة اليونانية، إذ أدخل اللذة في تعريف الجمال، فكل لذة نجد أنها تخدم الإحساس بالجمال مثل لذة السمع واللمس والبصر فهي تخدم الأشياء الجميلة. وأن مصدر الجمال هو نشوء لذة يمكن أن نستشعرها من خلال الموضوع المدرك، فلا يكون هناك جمال إلا إذا ولد لذة يقول (سانتيانا) " فلا يكون الموضوع جميلا إذا لم يولد اللذة في نفس أحد " (سانتيانا، 1988، ص.74).

واعتبر (سانتيانا) الجمال قيمة بمرتبة الإحساس حيث لا يوجد جمال مستقل عن إحساس الإنسان وقولنا مثلا أن هناك جمال لا ندركه كقولنا أن هناك إحساسا لا نشعر به،

ونجد أن الإحساس بالجمال يختلف عن باقي الإحساسات، لأنه يخاطب الشعور القائم على الإدراك لكي يخلق ذلك التفضيل المبني على قيمة معينة، وهنا يظهر مرة أخرى الفرق في تصور مفهوم الجمال وأبعاده بين (هيغل) و(سانتيانا)، ذلك أن (هيغل) جعل من الجمال قانون عقلي عام موضوعي مطلق على نحو المعرفة العقلية بعيدا عن كل لذة ذاتية، في حين يعتقد (سانتيانا) أن الجمال له جانب ذاتي وهو مرتبط باللذة الحسية في أغلب الأحيان وليس من الضروري أن يكون تصورنا للجمال موضوعي.فالجمال عند (سانتيانا) "هو الفكرة التي تدرك في إطار حسي وحين تدركه الحواس سواء الفن أو في الطبيعة، أما الحقيقة فهي الفكرة حين تدرك في ذاتها أي بوصفها فكرة خالصة" (الصباغ، 2003،ص. 14).

وبين (سانتيانا) أن الجمال هو قيمة ايجابية ذات إحساس بالشيء الحسن أو في انعدام الحسن في ذلك الشيء. فالإحساس بالجمال ينبغي أن يحتوي على إثارة بغض النظر عن شكل هذه الإثارة، كما أن (سانتيانا) جعل من الرؤية الجمالية أعلى من أي نظرة جزئية ضيقة حيث يؤكد "أن الرؤية الجمالية تقع فوق كل المذاهب اللفظية الفنية، أو بأنه يكون أعلى من تلك المجالات، لأنه يرى دائما أن الفلسفة أقرب إلى الفن والشعر من قربهما إلى العلم" (Guy.W.Stroch,1968 p.194,)، وأسس(سانتيانا) مفهوم الجمال على معنى اللذة، فهو قيمة إيجابية خالقة، وذلك على منوال بعض المذاهب في الفلسفة اليونانية على غرار مذهب اللذة، التي جعلت من اللذة عنصر هام في الظاهرة الجمالية.

وعلى هذا الأساس فإن الجمال عند (سانتيانا) هو أيضا تلك "اللذة المتحمسة في صميم الموضوع أو تلك المتعة الباطنة في صميم الشيء الملائم بشرط ألا ترتبط هذه اللذة بحاسة واحدة من حواسنا" (ابراهيم، 1979، ص.74)، فالجمال عند (سانتيانا) هو تكامل تلك الإدراكات الحسية، لكي يخلق تلك المتعة، وذهب (سانتيانا) إلى اعتبار الجمال تحويل تلك اللذة إلى موضوع وأشياء بحيث تكون أكثر شاعرية و"أنه إذا قدر لخيط اللذة الذهبي أن ينفذ إلى نسيج الأشياء الذي لا يكف عقلنا عن نسجه فانه عندئذ لابد من أن يضفي على العالم المرئي ذلك السحر الخفي السري الذي نسميه في العادة بالجمال" (ابراهيم، 1979، ص.75)، فتلك البهجة أو الاستمتاع الموجود في الموضوع هو الذي يخلق ذلك السحر الذي يثير في الإنسان الإعجاب، ويعود سانتيانا بعد ذلك ليوضح أن الجمال يرتبط باللذة، لأنه لا يجلب تلك المنفعة من الموضوع أو الحدث الجمالي، فالجمال هو الخير المطلق الذي يرضي وظائف طبيعية أو ملكات العقل البشري، والجمال قيمة إيجابية ذاتية بمعنى أن قيمته في ذاته فهو لذة من اللذات على عكس ما ذهب إليه (هيغل) الذي اعتبر أن قيمة الجمال ليست في ذاته وإنما في مضمون الفكرة التي يحملها.

والملاحظ أن الفلسفة الحديثة قد تخلت عن هذا المفهوم وقد أعاده (سانتيانا) في دراسته الجمالية، وبقي متمسكا بتلك الفكرة اليونانية التي تعتبر أن الجمال هو تلك القيمة الايجابية الخالصة، ونجد أن (سانتيانا) "قد استبعد من مجال الدراسات الجمالية القبح وقد اقتصر على استعارة نماذجه الفنية من أعمال الكلاسيكيين وحدهم دون الاهتمام بتطبيق فكرته الجمالية على الأعمال الرومانتيكية أيضا" (ابراهيم، 1979، ص.75)، وهذا يعني أن حكمنا الجمالي إيجابي في كل الأحوال.

1-3- مادة الجمال:

بعد تعريفنا لمفهوم الجمال عند (سانتيانا) يحاصرنا السؤال التالي: ما مكونات الجمال عند (سانتيانا)؟ يذكر (سانتيانا) أن جميع الوظائف الإنسانية تخدم الجمال، ومن الأشياء التي تخدم إحساسنا بالجمال نجد اللذة "فمتى دخل خيط اللذة الذهبي على هذا النسيج من الأشياء الذي يخلقه الوعي فإنه يخلع على العالم البريء تلك الجاذبية الرقيقة الغريبة التي نسيميها الجمال" (سانتيانا، 1988، ص.79). فمثلا جد أن هناك تنوع في اللذات مثل السمع والبصر والمخيلة والذاكرة، وهي عبارة عن لذات قادرة على التحول إلى موضوعات، وإن العوامل السيكولوجية المتمثلة في العواطف والأحاسيس الموجودة في اللاشعور وتأمل الطبيعة والخيال والذوق الشخصي كلها عوامل تؤدي إلى ادراك الجمال، ولا يفوت (سانتيانا) أن يشير إلى أهمية تأثير العواطف كعامل سيكولوجي في ادراك الجمال فيقول عن عاطفة الحب مثلا "وفي منتصف الطريق بين الوظائف الحيوية والوظائف الاجتماعية توجد الغريزة الجنسية فهذه الوظيفة الجنسية لها تأثير عميق شامل ولا سيما عند المرأة بحيث أننا لن نصل إلى فكرة صادقة عن الطبيعة البشرية إذا نحن أهملنا البحث في علاقة الجنس بالحساسية الجمالية" (سانتيانا، 1988، ص.82)، فهذه الغرائز هي التي تعمل على إثارة المشاعر الإيجابية الموجودة في المجتمع مثل الابوة والرغبة في الاجتماع والاشتراك في الحياة كلها وظائف ودوافع إيجابية، لكن ما هي اللذة التي كان يقصدها (سانتيانا)؟

ربما في عنصر سابق من مفهوم الجمال لم نقدم تحليل مفصل فارتأينا في هذا العنصر أن نفصل في اللذة التي يقصدها (سانتيانا)، فهي ليست لذة حسية كما يوهم اللفظ بل هي عنصر جوهري من عناصر الفن فهي محملة بعدة معاني ودلالات فهي ذلك الانسجام الموجودة بين "عالم الظواهر" مع "العالم المطلق" (ابراهيم، 1979 الفن، ص. 77)، فهذه اللذات هي مجموعة من الخبرات التي تحدد تفسير الجمال، والجمال هو مظهر من مظاهر الكمال فلديه أهمية كبرى في تدعيم الحياة الجمالية.

وحصر (سانتيانا) عناصر مقومات الجمال في مجموعة من العناصر مثل المادة والتعبير والصورة، فمثلا المادة تشير إلى اللذات الحسية التي تمدنا إياها تلك الحواس التي تتميز بها

خصائص الإنسان عن باقي الكائنات الأخرى والصورة هي التي تمثل المرئي المحسوس الموجود في تلك الأشكال المتناظرة الموجودة في الطبيعة، ويعتمد الجمال الصوري على تلك الأجهزة الحدسية التي يتعلق بها البصر والأشكال البصرية، جمال المادة هو الأساس الذي يقوم عليه الجمال الأسمى سواء في الموضوع الذي لابد لشكله أو معناه أن يتجسما في شيء محسوس أو في الذهن المشاهد بحيث تظهر الافكار الحسية أولا، ومن ثم فهي أول عناصر اللذة فيه، وسوف نقوم في العنصر الآتي بالتفصيل في مقولات القيم الجمالية عند (سانتيانا).

1-4- مقولات القيمة الجمالية:

إن الحديث عن مقولات الجمال يجعلنا كباحثين في الفكر الجمالي السانتياني تتكلم عن القيمة الجمالية في حد ذاتها عند (سانتيانا) فقد استند (سانتيانا) على مفهوم القيمة وفق تصنيف لها حسب درجة الأهمية وهي كالتالي: القيم الأخلاقية، القيم العقلية، وأخيرا القيم الجمالية، وعرف سانتيانا القيم الجمالية بقوله "تلك القيم الجوهرية الكامنة في أعماق الوجود وهي التي تحقق الكمال في الحياة" (سالم، 1996، ص.20)، إن القيم التي تتعلق بالجمال هي التي تعطي طابع الكمال في هذه الحياة سعيا لخلق عالم مليء بتلك القيم النفسية من خلال العمل الفني، وجعل سانتيانا مجموعة من المميزات لهذه القيم الجمالية وهي كالتالي:

- ميز (سانتيانا) بين القيم الجمالية فجعل من الأخلاق عالم الواجب وصراع ضد الشر، وهي قيم تحمل المعاناة لهذا الإنسان، أما عالم الجمال والفن هو خلق هو حرية والاستماع باللذة الجمالية. هنا تظهر جليا المفارقة بين علم الجمال وبين علم الأخلاق عند (سانتيانا)، وهوما غاب عند (هيغل)، إذ طابق (هيغل) مطابقة تامة تقريبا بين علم الأخلاق وعلم الجمال.

- القيم الجمالية هي قيم كاملة لا يحتاج إلى غايات بينما مثلا القيم الأخرى هي قيم وأدوات تخلق لتحقيق هدف ومقصد معين.

- القيم الجمالية هي قيم حرة بعيدة عن كل الأحكام وقوانين المنطق، بينما القيم الأخلاقية والعملية فهي مكتملة بأسس المنطق العقلي وهي أسيرة الظروف المكانية والزمانية، وعرف (سانتيانا) الجمال مسبقا وأبعده عن كل التصورات العقلية، حيث رأى أن الجمال يبتعد عن كل الأحكام العقلية، وهو يفصل بين القيم الجمالية والعقلية، لأن هذه الأخيرة تسعى إلى التحليل، وهي ضرورية في البحث عن حقيقة الأشياء، فالعالم يسعى إلى التحليل أما الفنان فهو يخلق من التجربة جمالا، ومن الخبرة فنا، فلا يمكن أن نتذوق الجمال إلا إذا خلقنا المتعة في العمل الفني دون تحليل أو تفسير، لأن كل عمل عقلي هو قتل للعمل الفني.

وحدد (سانتيانا) مقولات الجمال في العناصر التالية: المادة والصورة، الشكل والتعبير، وفيما يلي تفصيل بذلك.

1-5- المادة:

وهي تلك العناصر التي تخلق الإحساس بالجمال، وفيما يخص تعريف المادة فهي "كل شيء مداد لغيره ومادة الشيء أصوله وعناصره التي يتركب منها حسية كانت أو معنوية كمادة البناء والبحث" (صليبا، 1994، ص. 306)، وهي أيضا تلك العناصر التي يتألف من أي شيء وبين (سانتيانا) أن المادة "تدخل في تركيب جميع الأشياء فهي بالنسبة لهذه الأشياء العمود الفقري بالنسبة للإنسان" (ابراهيم، 1994، ص. 81). والمادة هي العنصر الأساسي الذي تتكون منه جميع الأجزاء، فهي زمانية ومكانية تتحكم في جميع العلاقات، ونشكل السيل المتدفق الذي يعمل على استمرارية الحياة.

ويعتقد (سانتيانا) أن هناك علاقة تربط المادة بالجمال فهي عنصر مهم في الفلسفة الجمالية، وهي مصدر اللذة، وتتشكل اللذة عن طرق معطيات الحس، ولاسيما البصر التي هي اقوى اللذات وأكثرها ارتباطا بالإدراك الحسي والخبرة الجمالية. إن اللذة الجمالية هي التي ترى العالم الخارجي المحسوس والمرئي وهي التي يكون لها تأثير حي، فمثلا نحن ندرك في الإنسان الألوان كالأزرق والأحمر والألوان التي توجد في الأشياء هي صفة ذاتية توجد في الموضوعات والعناصر التي يتكون منها جوهر الشي، فهذه الخصائص هي الركيزة التي تظهر المادة.

ووضح (سانتيانا) أن هناك جمال حسي معارض لتلك النظرية المثالية، فهو يرى أن المادة هي أصل الأشياء فهو واقعي ويدافع عن النزعة المادية يقول "إن النزعة المادية أو الطبيعية ليست عبارة عن رأي أكاديمي...إن النزعة المادية متأصلة في عواطفي ومشاعري الخاصة" (خضر، 2017، ص.90)، معنى هذا أن (سانتيانا) يعتبر أن النزعة المادية ليست من اختصاص الفلاسفة فحسب، بل هي ذلك المسيطر على العواطف والمشاعر، فهي متأصلة في عمق الإنسان، ولا يمكن أن تنفصل عنه، فهي التي تؤسس للوصول إلى الجمال، وذلك من خلال "تعديل الواقع المادي وجعله ملائم بحيث يحاول الإنسان جاهدا أن يتحرر من العبودية الطبيعية، لكي يصل إلى حرية الروح" (عباس، 1987، ص.227)، وبهذا تكون المادة هي نقطة انطلاق تجعل الإنسان يصل إلى الروح، ولا يصل إلى المنفعة فقط بل يحول هذه المادة لكي يشعر بتلك المتعة من خلال العمل الفني والجهد الفكري، فالمادة تخلق نوع من الحركية للهروب من عالم المادة إلى عالم الروح، أي أن المادة أحيانا تبعث الراحة في الإنسان فتنتعش فيه الروح فرحا وسرورا.

وأكد (سانتيانا)على دور الوظائف الاجتماعية ومدى تأثيرها على الفكر الجمالي يقول "الإنسان حيوان اجتماعي أولا، تكاد تكون الاجتماعية في أهمية وظائفه" (سانتيانا، 1988، ص.109)، فنجد هنا أن المشاعر والعلاقات الاجتماعية التي تربط الأفراد فيما بينهم هي التي تعمل على تحديد الذوق العام مثل المشاعر، الأبوة والوطنية، فالقوة الاجتماعية تنشأ من حب الجمال

فيصبح الاجتماع موضوع الجمال، وركز (سانتيانا)على دور الحواس فهي بداية الذوق الجمالي حيث يقول "الإحساس بداية المعرفة، فالعين البشرية تقوم بحركة تنظيم بمقتضاها نرى الأشكال الهندسية غير الرتيبة والمتناظرة" (عقيل مهدي يوسف، 2008، ص.51)، فالحواس هي نقطة انطلاق لكل معرفة، فالعين تعمل على ترتيب هذه الأشكال الغير منتظمة، ويبدأ الإنسان من ملاحظة عبر الحواس لكي يخلق نوعا من التوازن حول الإدراكات ليحدث عملية التكافؤ من العين، هنا يأتي الصوت فلقد رأى (سانتيانا) في كتابه مولد الفكر أن العين ليست وحدها هي التي تستثار في ملاحظة المشهد فالصوت يخلق مفاهيم جمالية من خلال علم الصوت وهي الموسيقى والشعر والنثر. فهو يرى أن "أصل الإلياذة والأوديسة كملحمة ترتبط بما لدينا من آراء حول الحقيقة والزيف في القول، إن الشعر البدئي الأول متسامي وجليل، وفيما يتعلق بسفر التكوين وملحمة الإلياذة والأوديسة لهوميروس" (خضر،2017، ص.82) نشأت هاتين الملحمتين لتعبر عن ذوق فني سامي وجليل لشعر قديم، لأن للإلياذة والأوديسة عظمة في الفن القديم.

وأشار(سانتيانا) إلى فلسفة اللون كعنصر هام في المادة الجمالية، فقد رأى بأنه بالغ التأثير حول الإحساس بالجمـــال، وجعل (سانتيانا) من الحواس بـــداية الصوت تأثيرا، ومن الألوان جمالا حيث يقول "لما كان تأثير اللون أوثق صلة من سائر الحواس الأخرى بإدراك الأشياء فسرعان ما يصبح هذا التأثير عاملا مهم من عوامل الجمال" (سانتيانا، 1988، ص. 122)، فاللون له تأثير قوي على ادراك معنى الجمال ولديه القوة على جذب الملكات فهو قيمة مثل باقي الإحساسات، فكما تحدث الرائحة تأثيرًا كذلك تحدث الألوان تأثيرًا في الذوق الجمالي، ويولد اللون متعة في النفس وعاطفة تجاه الأشكال والطبيعة، ومن خلال تحليل مفهوم المادة عند (سانتيانا) نلاحظ أنه قد أعطى ضرورة قصوى للحواس والأشكال في العمل الفني، فهي التي تولد الإبداع الجمالي فالمادة في الجمال السانتياني هي قيمة تولد لذة حسية، ولها قوة كبيرة في تحقيق الجمال ولا يمكن الغاؤها في الجمال، فمن يلغي المادة لا يمتلك ذوق فني بل هو منافق حسب (سانتيانا).

1-6- الصورة:

هي المظهر أو تلك الصورة التي يكون عليه الشي وصورته، وهو مضمون ومحتوى الشيء، فقد جعل سانتيانا للشكل أو الصورة دور مهم في فلسفته الجمالية وأولاه عناية وأهمية كبرى، فهو نوع من أنواع الجمال لذا يعد الشكل "طريقة تنظم عناصر المضمون وهو قانون بنية العناصر وترابطها المتبادل" (خضر،2017،ص.23)، فهو يعتبر المرآة العاكسة للمضمون ويقوم بتنظيم العلاقات المتبادلة بين أجزاء وعناصر الشكل.فالشكل هنا يشير إلى الإحساس وإن الشكل والمضمون على صلة وانسجام وهذا ما أطلق عليه بوحدة السيمترية، ووضع (سانتيانا) علاقة بين الشكل والجمال ففيما تتمثل؟

يجيب (سانتيانا) قائلا "جمال الشكل هو بالذات ما يستهوي صاحب الطبيعة " (سانتيانا، 1988، ص .148). نفهم من هذا أن الجمال الخارجي لديه القدرة على جذب المتذوق الجمالي بعيدا عن الاثارة، (فسانتيانا) رفض الشكل الفوضوي الذي لديه ذلك البريق الزائف، وكذلك الانفعالات المضبوطة، فهو يرفض الانغماس والانحناء على حساب الشكل، فالشكل عمل تركيبي يسيره العقل، وهو يقوم بتوحيد عناصر الشكل بطريقة واعية تدرك بالبصيرة التي تنفذ إلى الأجزاء والعناصر الحسية التي تدرك كل منها على بمفردها، والسيمترية هي تلك التنوع والترابط بين وحدات الشكل، فهي تضفي طابع الكمال حيث يقول "السيمترية تضفي على الموضوع كمالا يكون مصدرا عاما للسرور الهادئ تعود إليه بعد أن تكون حواسنا المتبعة قد شبعت من كل ما يثيرها من لذات" (سانتيانا، 1996، ص. 123)، فهي نوع من أنواع الوحدة التي تخلق الكمال والسرور الذي يؤثر على النفس فالسيمترية تكمن عندما تتعود عين الإنسان على إدراك الأشياء بطريقة منظمة مما أطلق عليه بمركز الثقل التي هي النقطة يركز عليها الإنسان وفق ملكة الإدراك الباطني للشكل.

فقيمة السيمترية هي التي تحقق الوحدة وهي ميزة الأشكال، بالإضافة قدرتها على التنوع، فهي التي تحاول خلق التكرار الايقاعي للأجزاء المتشابهة كون الوحدة هي ميزة الشكل، ويضرب (سانتيانا) مثال حول عدسة العين التي يتمثل دورها في استقبال صور موزعة ومجزأة حول موضوع معين فإنها ترسل إلى الشبكة انطباعات منفصلة عن الذهن، كل هذا يحدث ويحصل من خلال العدسة التي حددت الإحساس، فالعين التي ترى المشاهد الخارجية وتحاول إرساله إلى الذهن بحركة غريزية وهي تدور وتحول كل انطباع إلى تلك النقطة من الشبكية، حيث يوجد أكبر مقدار من الأحاسيس، ومن هذا المنطلق لا يعبر الجمال فقط عن انسجام بين أفراد الموضوع، بل يكون للشكل علاقة تشير إلى تمثل الإحساسات

1-7- التعبير:

التعبير من الناحية الجمالية هو "مجموعة من التأثيرات الانفعالية التي تضفي على المضمون الجمالي ولأي عمل فني دلالة وجدانية خاصة باختلاف الذكريات والارتباطات التي تتولد في ذهن المتذوق لهذا العمل" (ابراهيم، 1996، ص.180)، فالتعبير هو نفاذ من مجال الشعور إلى إثارة الوجدان بعيدا عن الإدراك الحسي المباشر، هو انحناء للموضوع وانطباع في ذهن المتذوق لإدراك الجمال من خلال الذكريات والارتباطات المختلفة، وكما قلنا سابقا أن سانتيانا رفض جماعة التعبيرين الذين جعلوا من الذات عنصر في عملية الإدراك وأسقطوا ظل الذات ومشاعرها على المواضيع المطلوب ادراكها للقيم الجمالية، وبين (سانتيانا) أن هناك إحساسات أخرى هي أنه يمكن أن تكون لها تأثير على الانطباعات الموجودة في واقعنا ويطلق (سانتيانا) على التعبير في بعض

المواضيع بتعبير الموضوعات، فهو لا يختلف كثيرا عن المادة حيث يقول "لا يختلف التعبير في أصله عن قيمته المادة أو قيمة الشكل إلا كما تختلف العادة عن الغريزة" (سانتيانا، 1996، ص.266). يعني بأن التعبير والمادة تؤثران حول الفكر الجمالي فهو يولد لذة جمالية كما أن التعبير حدين:

- حد هو الموضوع الماثل بالفعل أي بالكلمات والصور والأشياء المعبرة.
- حد هو الموضوع الموحى به أو الفكرة أو الانفعال الزائد .

وكلاهما هو عمل عقلي، ويتشكل التعبير من الاتحاد بينهما و" تتولد اللذة نتيجة لعملية الربط بينهما" (سانتيانا، 1988، ص.570)، وأي فصل بين هذين الحدين قد يؤثر في العملية الجمالية، ومثال ذلك اللغة العربية فالخط العربي يبعث السرور وذلك الانطباع الجمالي، أما الغير فيعتبر أن الخط العربي هو عبارة عن زخرفة معقدة جمالية وتعبيرها غير مفهوم لدى من لا يعرف اللغة العربية، فهي لا تحقق لذة ولا وجود لعملية تكمن من تحقيق الموضوع، ونفس الأمر عند الرياضيون فعالم الرياضيات لا يهتم بتسلسل حسب الجمال، فهو ينسقها موضوعيا في الذهن خلاف الفنان الذي يؤلف العلاقات المترابطة بين الحدين أي الموضوع الماثل والموضوع الموحى به، فالإحساس بهذه العلاقات المرتبطة بجوهر اللذة الجمالية متوقف على قدرتنا على فهم التعبير الخاص بهذه العلاقات.

2- الفن ووظيفته في الحياة:

وضع (سانتيانا) أيضا تأسيس فني، وقد ربطه بالحياة العامة للإنسان، وكما سبق وأن عرفنا بأن الفن هو جملة من القواعد المتبعة لتحصيل غاية معينة جمالا كانت أو خيرا أو منفعة. من هنا نتساءل: هل الفن مجرد فلسفة ليس لديها أي قيمة أم له دور في الحياة عند (سانتيانا)؟ وهل الوظائف التي أسسها (سانتيانا) للفن كافية؟ وهل الفن بمعزل عن الفكر الأخلاقي؟

الفن هو ذلك الجانب المضيء الذي يحقق معنى السعادة للبشر، ويبدو ذلك من خلال ممارسة الفن وما يقدمه من أعمال، ولذلك الفن كالحب يحاكي كل فرد متذوق وهو ممارسة إنسانية قديمة قدم الإنسان. ويعتقد (سانتيانا) أن الفن "معنى عام يجعل من الفن مجموع العمليات الشعورية الفعالة التي تؤثر عن الإنسان في بيئته الطبيعية لكي يشكلها ويصوغها" (ابراهيم، 1979، ص.11)، ويعرفه أيضا بأنه "مجرد استجابة للحاجة إلى المتعة أو اللذة لذة الحواس ومتعة الخيال دون أن يكون للحقيقة أي دور في هذا إلا بوصفها عاملا مساعدا قد يؤدي إلى تحقيق هذه الغاية" (ابراهيم، 1979، ص.11)، والفنون الجميلة هي التي تتعلق بفن الصوت واللغة ونجد في المعنى الأول للفن غاية هي علاقة الإنسان بالبيئة القائمة، وفي حقيقة الأمر عندما نرى مفهوم الفن لا نرى تقاربا بينه وبين مفهوم الجمال، لكن بما أن الجمال يسعى لصنع الكمال في

هذه الحياة كذلك الفن و "من المؤكد أن القيم الجمالية تسعى لتحقيق أهداف الحياة، وهنا تكمن العلاقة الوثيقة بين الجمال والفن" (خضر، 2017،ص.11). وبطبيعة الحال يتضمن الفن والجمال في النهاية بعض القيم الجمالية.

وأكد (سانتيانا) أن الفن هو النشاط البشري الذي يتم من خلاله وضع الأشياء في إطار عقلاني حيث أن جميع الفنون تسعى إلى تكوين الفن إما كجانب معنوي أو كمضمون مادي.

ووضع (سانتيانا) مثالا يعبر فيه عن عقلانية الفن كنشاط بشري حيث يرى أنه إذا قدر للطيور وهي تبني أعشاشها أن تشعر بفائدة ما تصنع لصح القول أنها تمارس نشاطا فنيا، ولذلك يكون النسيج عبارة عن فن من الفنون على الرغم من أن الرجل الذي يقوم بعملية النسيج غير مدرك للأعراض العملية لذلك الفن الذي يمارسه (Santayana,1982,p.4)، وبالتالي يصبح الفن يعبر عن تلك الفطرة التي تم بناؤها عن طريق الأفكار التي تخلق الإبداع الفني والتي يتم اختراعها عن طريق العقل، وعلى ذلك يؤكد (سانتيانا) أن الفن هو الذي يحاول أن يرفع من قيمة الجسد أبعد بكثير من ذلك الإدراك البشري، ويسعى الفنان بأن يجعل من الفن ذو هدف عملي نحو البعد الأخلاقي فهو عبارة عن تلك الغرائز التي تكون لها هدف معين ومن هذا المنطلق أصبح الفن بالمعطى العام عند (سانتيانا) هو تلك الافعال التي تحاول تجاوز البدن لكي تستطيع أن تنفذ إلى العالم، ويخلق نوعا يتوافق مع النفس ويؤكد ذلك بقوله "إنما كان الفن هو في صميم الدافع وتعديل في وسائل دقيقة لبلوغ نهاية عشوائية أو غير ممكنة التحقيق" (ابراهيم، 1979، ص.12). تبدو هنا المفارقة بين نظرة (سانتيانا) للجمال الذي ربطه بالحس والواقع واللذة وبين الفن الذي جعل منه سمو إنساني وأخلاقي وعاد (سانتيانا) إلى فلسفة (هيغل) في الفن.

وتساءل (سانتيانا)عن وظيفة الفن فأجاب أن الفن هو القدرة على خلق تربية جمالية بحيث يسعى إلى إحداث متعة جمالية، فالفن عنده عبارة عن مجرد استجابة إلى تلك المتعة، لكن لا يجب ان تتعارض هذه المتعة مع الأخلاق، وعارض مثلا (هيربرت ريد) هذا التعريف "إذ رأى أنه لوكان الفن يعرف بأنه ما يجلب المتعة فإن هذا ما يدفع الناس إلى الاعتراف بأن الاكل وشم الروائح الزكية ومختلف الأحاسيس المادية الأخرى يمكن أن تعد فنونا" (ريد، 1998، ص.11). هذا التعريف يشمل كل ما هو مادي غير مخترع من طرف الإنسان، لكن دافع (سانتيانا) عن هذه التعريفات السابقة لمضمون ووظيفة الفن " فحبي للجميل لم يجد بدوره رضاءه الأكبر في الفنون، فإن كان الفن ينقلنا من حال إلى حال ويتحرر العقل والقلب فإن ذلك له عندي اعزازا، غير أن الطبيعة والتفكير يفعلان ذلك مرات أكثر وبسلطة أعظم، ولوكان ثم شيء خلب لبي فإنما هو الأماكن الجميلة والعادات الجميلة والنظم الجميلة، ومن هنا كان إعجابي باليونان وانجلترا واستمتاعي بأمريكا الفتية المرحة" (ستولينيتز، 1981، ص.64)، واعتبر (سانتيانا) أن دور الفن هو

تشكيل تلك الفكرة المثالية التي تتوافق مع هذه الحياة الواقعية ساعيا نحو الخير الذي يدفع نحو البهجة والسرور والفرح، وأن الفن هو أساس عملية التقدم والتطور الإنساني كونه مثل الأخلاق جاعلا من هذه الحياة حرية، فالفن يسعى إلى خلق الحرية في هذا العالم. فالفن هو ذاك العالم الذي فيه الحرية لكي يكون سبب من أسباب الراحة والشعور بالسعادة في هذه الحياة، فتكمن قيمة الفن في خلق تلك الطمأنينة في البشر من خلال الحصول على تلك الأعمال الفنية، وبدون الفن يصبح هذا العالم مثل ذاك المكان المحجر الذي يبعث نوعا من التعاسة والحزن، ويبدو أن سانتيانا يعتقد أننا لا نرتقي إلى المثالية إلا من خلال العمل الفني على عكس هيغل الذي يعتبر أن المثالية هي سر تذوقنا الفني ورغم الاختلاف بينهما إلا ان هناك اعتراف من سانتيانا بضرورة الربط بين العمل الفني والتربية المثالية.

وأشار (سانتيانا) إلى تلك العلاقة بين الفن والجمال بحيث يرى أن مجموعة هذه القيم تحقق أهداف الحياة من خلال قيم جوهرية باطنة في أعماق النفس الإنسانية، فهو يؤكد على تلك العلاقة بين مفهوم الجمال ومفهوم الفن خصوصا أن الفنون الجميلة التي هي ضروب واعية من الإنتاج يفترض فيها أن تجئ متضمنة لمعنى القيم الجمالية أو الاستطيقية، فالعلاقة بين الجمال والفن وثيقة بحيث رأى أن مجموعة من هذه القيم تحقق أهداف الحياة من خلال قيم جوهرية باطنة في أعماق النفس الإنسانية، فهو يؤكد على تلك العلاقة بين مفهوم الجمال والفن، وليس هناك انفصال بين القيم الجمالية والفنية، لأن كل منهما يعتبر الاهتمامات الإنسانية من أولوياته، وحتى إن كان هناك فرق فهو ظاهري. فكلاهما نسيج واحد قادر على تحويل أي عمل إنساني إلى إبداع، فتلك الأحاسيس الجميلة نجد فيها أن الفن يعبر عنها بطريقته الخاصة حيث "القيم ... الموجودة داخل الخيال تتشكل وتتجسد على هيئة صورة فنية، ولذلك تدعى بالقيم الجمالية وتدعى القيم بالأعمال الفنية أو ذاك الانتاج الفني الذي يكون لديه هذه القيم الجمالية بالفنون الجميلة" (عبيد، 1997، ص.104). فالعلاقة وثيقة بين الجمال والفن عند (سانتيانا)، والعلاقة بين الفن والحياة الإنسانية الجمالية عند (سانتيانا) يمكن حصرها في النقاط التالية:

- موقف جعل من الفن فصل تام بينه وبين الحياة فهي دعوة تقتضي أن تجعل الفن للفن وهو بعيدا عن كل الواقع الإنساني وهذا قد رفضه (سانتيانا) لأن هذا الموقف دعوة تجعل منه الفن بعيدا عن الحياة.

- موقف يخالف النظرة الأولى حيث يستبعد النشاط الإنساني الفني فيساير (أفلاطون) في جمهوريته حيث طرد الشعراء من مدينته الفاضلة بدعوى الرقابة الأخلاقية فهدم الفن، وهذا أيضا رفضه (سانتيانا) لأن فيه رفض لشروط المثل العليا للعقل.

- موقف جعل من الفن قيمة نسبية بوصفه يمر بمرحلة ضرورية من مراحل التقدم الديالكتيكي للروح البشرية، وإن كان يساهم في نوع من التقدم يقضي في النهاية عن تجاوز القيم والحياة الجمالية ويخضع بالتالي الفن للتقويم مما جعل (سانتيانا) يرفض ويعارض هذا الفن.

- موقف يدمج النشاط الجمالي في صميم الحياة العقلية للموجود البشري بوصفه مظهر من مظاهر سعي الإنسان نحو تحقيق المثل الأعلى وهو في نظر (سانتيانا) الموقف الأوحد الذي ينصف الفن، لأن الفن لا يكون مستقلا تماما عما عداه من نشاطات الحياة ولا، يبقى بمعزل عن الحياة الجدية، ولا يظل خاضعا خضوعا مطلقا للأشكال العليا من أشكال الحياة الروحية.

- وبهذا أسس (سانتيانا) تجربة فنية مرتبطة نوعا بالتأثيرات المثالية والعملية، وكأنه يحاول من خلال تبينه للعلاقة بين الفن والجمال أن يجمع بين ما هو مثالي وما هو واقعي في الفن والجمال. فالجمال والفن نابعان من صميم الحياة العقلية هادفان نحو تحقيق المثل الأعلى فهما غير مثاليين، ولكنهما غير منفصلين عن المثالية، وواقعيين، ولكن ليس لدرجة تلغي دور العقل فيهما .

2-1- الفن والتربية على المنفعة:

بين (سانتيانا) بأن هناك حالات محددة تجعل من الفن فائدة ومنفعة، وفي النهاية هي ضمن (إحساساتنا)بالجمال، وعرف (سانتيانا) المنفعة في الفن بقوله "مثلها مثل الأهمية والدلالة فهي عبارة عن ذاك الانسجام النهائي في الفنون بدون أي وسيلة أخرى تكون المنفعة بمثابة الأساس الكلي للفنون (Santayana, 1982, p.10). إذ أن المنفعة هي تلك الأهمية التي يعطيها الفن لعمله، فتصبح في النهاية الإحساس الذي يبنى عليه الفن، ولقد أوضح (سانتيانا) موقفة في كتابه الإحساس بالجمال من علاقة المنفعة بالجمال، حيث يرى أن (سقراط) هومن ربط بين الجمال والمنفعة، إذ جعل (سقراط) المنفعة هي جوهر الجمال فهذا التناسق الطبيعي بين المنفعة والجمال يصبح بلا شك موضوعا محيرا في نظرية الجمال حيثما لا يفهم مصدره، ويقال لنا أحيانا أن المنفعة هي في حد ذاته جوهر الجمال أي وعي بالميزات العملية لأشكال معينة وهو أساس إعجابنا الجمالي بها. فالجمال هو ذاك النافع، فمثلا نحكم على الجواد بأنه جميل لأنه صالح للجري ففائدته هنا واضحة وجلية، ويقال أن العين تخلق الجمال وأنها جميلة، فهي قد خلقت لتساعد الإنسان على الإبصار والسيارة جميلة نظرا لأنها تمثل مركب، ومن الأمثلة التي وضعها (سانتيانا) كون أن (سقراط) هو أيضا ربط بين الجمال والمنفعة" إن (سقراط) يقارن نفسه بأحد الشبان الحاضرين في نفس الحفل والذي كان يوشك أن يحصل على جائزة مسابقة الجمال، فيقال أنه أجمل من هذا الشاب وانه أجدر منه بالتاج، وذلك لأن الصلاحية أو المنفعة هي التي تخلق الجمال، وهكذا فان العيون البارزة التي تكاد تخرج من محاجرها كعين(سقراط) هي أكثر عيون

الصلاحية للأبصار والجيوب الأنفية الواسعة المفتوحة للهواء كأنفه أكثر صلاحية للشم والفم الواسع الغليظ مثل فمه أكثر من غيره قدرة عن الأكل والتقبيل" (سانتيانا، 1988، ص.179).

وأعطى (سانتيانا) للجميل معنى النافع وخلق الأشكال الفنية هي موضع لبعض الضرورات العملية الموجودة في حياتنا أو تلك الحاجات التي تؤدي إلى نفع الإنسان في حياته، ورأى (سانتيانا) على أن هذا لا يعني أن الفن فقط لديه هدف عملي أو مجرد وسائط فقط لتحقيق المصلحة للإنسان، فكل غاية مثالية في جوهرها لها أسس طبيعية، فالفن هو تلك القدرة على اعمال العقل لتحقيق التقدم في الواقع الإنساني فهو ينادي بضرورة تجسيد المادة" بقدر ما يقدم إشارة إلى مدى تجسيد المادة واتخاذها بشكل ينسجم مع الرغبات والاستعمال الإنساني ولذلك رفض (سانتيانا) أن يفصل بين فائدة الفن وقيمته الجمالية" (cuy.w.stroch: american bhilosobhy from edwards to dewey.1968 , p.201)، وبالفعل فإن واقع الإنسان يفرض عليه أن يتكيف مع مقتضيات الحياة المتغيرة في جميع أبعادها فمثلا هناك ضرورات عملية تحتاج التكيف الإنساني معها مثل الوقاية والاقتصاد والتملك، وبهذا أصبحت المنفعة في خط واحد مع الجمال، ومن هنا فإن (سانتيانا) لا يسلم مع (أفلاطون) بوجود جمال مطلق يتحكم في نظام العالم، بل هو يقرر أن ينظم العالم وقد نشأ عن فعل بعض القوى الآلية أو الميكانيكية التي حددت لنا بعض النماذج أو الأنماط فلم يكن على إدراكنا الجمالي من بعد سوى أن يراعيها في تذوقه للجمال، ونلاحظ هنا أن (سانتيانا) يرفض ذلك التصور المثالي الذي ألغى البني التحتية التي تتحكم في الواقع مثل القوى العملية والآلية التي قدمت نماذج فما على الجمال إلا أن يراعي تلك القوى في الإدراك الجمالي.

وتأكيدا لما سبق قوله يعرف (سانتيانا) الفن بأنه "لذة تتعلق بكيفية الأشياء وهو ضروري جدا لانسجام الحياة" (برتليمي، 1970، ص. 393)، فهو فن يفيد الإنسان كذلك الخير الذي لديه علاقة بأنواع الخير الأخرى، بحيث جعل (سانتيانا) أن اللذة هي أيضا عنصر هام في علاقتها بالمنفعة والجمال، واللذة التي تكلم عنها (سانتيانا) تختلف عن تلك التي تبدو في الذهن فهي مجموعة من المعاني والدلالات التي تختلف عن رؤية (هيغل)، و(كانط) بحيث اللذة عندهما تقترن بمظهر توافق الطبيعة والعقل والانسجام لعالم الظواهر مع عالم المطلق. أما (سانتيانا) فهو يرى أن الجمال هو مظهر الانسجام بين الداخل والخارج وتوافق عالم الطبيعة البشرية مع العالم الخارجي، وبالتالي نحن بحاجة لفكرة اللذة، فهي وحدها لا تكفي لتفسير معنى الجمال، وإنما لا بد من أن نفهم الخبرة الجمالية فهي عند (سانتيانا) توافق بين الحواس والمخيلة مع الموضوع.

والجمال عند (سانتيانا) هو بمثابة ذاك الكمال وجمع (سانتيانا) بين الجمال واللذة وأدى إلى خلق الكثير من الاعتراضات "خصوصا أن تذوق الجمال ليس مجرد ادراك الحسي وإنما هو إدراك لقيمة أو اكتشاف لدلالة جمالية لأي مظهر حسي أن يستوعبها بتمامها" (الصباغ،

1989،ص.9)، وعارض (سانتيانا) شتى النظريات الجمالية والمثالية في علم الجمال وفلسفة الفن وعلى رأسها "نظرية (كانط) الالماني حيث فسر الجمال بالشعور السار أو الارتياح، بشرط أن يكون هذا الإحساس خاليا من كل أثر منفعة أو الفائدة أو الغائية" (رشيد، 1985، ص.11)، وجعل من الفن مجرد إحساس خالص لا يهدف لأي مقياس عملي وهوما نجده عند (هيجل)، حيث بين (كانط) أن الجمال هو ذاك الفن الذي يكون ممتعا بالضرورة، وهذه المتعة تنبعث من نفوسنا ونحن حيثما ندرك الجمال ينبغي أن تكون الصلة مقطوعة بينه وبين أي فائدة، والكثير من النصوص الكانطية والهيغلية تشير إلى تنزيه الفن عن المنفعة، (فكانط) و(هيغل) يفصلان بين الجميل والمفيد، وفرق (كانط) بين الجمال الطبيعي وبين الجمال الفني مبينا أن الجمال الطبيعي شيء جميل، وأن الجمال الفني تصوير لشي جميل. ففلسفة (كانط) و(هيجل) في هذا المجال تقف على النقيض تماما من فلسفة (سانتيانا).

لكن (سانتيانا) لم يبق مصرا على ربط الجمال والمنفعة في كل الحالات حيث يرى "أن انعدام المصلحة في لذة الجمال إنما هي ميزة يشترك فيها جميع اللذات الحدسية الأولية التي لا تحددها بأي حال الاشارة إلى أي مفهوم عام مصطنع مثل مفهوم الذات" (سانتيانا، 1988، ص. 65)، وهنا يؤكد (سانتيانا) أنه لا ينبغي أن تكون اللذة الجمالية هي نتيجة للمنفعة التي يجلبها أي موضوع، لأن الجمال هو خير مطلق يحقق غاية طبيعية.

نلاحظ هنا أن (سانتيانا) أصبح لديه موقف متذبذب في علم الجمال وفلسفة الفن فتارة يفصل بين المنفعة والفن وتارة أخرى يؤكد على ربط بين الفن والمنفعة، وهذا كان نتيجة لربط التقويم الجمالي بمبدأ اللذة.

2-2- التربية الجمالية ودورها في تهذيب الأخلاق:

بعد أن يوضح (سانتيانا) علاقة الحب مع الجمال وتأثير هذه العاطفة على الإحساس بالجمال، سوف نتعرف عن تلك العلاقة الوظيفية التي تربط بين الأخلاق كقيم وبين الجمال، وقد عبر الكثير من الفلاسفة عن هذه العلاقة حسب توجهاتهم ومذاهبهم الفلسفية فنتساءل مع سانتيانا: هل القيم الجمالية والأخلاقية عبارة عن علاقة ارتباط وتكامل أم علاقة انفصال وتباعد؟ فإذا كانت الاولى فكيف يمكن الجمع بين القيمتين، وإذا كانت الثانية فما هي أوجه الاختلاف بينهما؟

نبدأ مباشرة بالتفصيل في أن القيم عند (سانتيانا) هي نوعان مختلفان عن بعضهما من ناحية المصدر حيث يقول "القيم الجمالية أساسها النشوة والأخلاقية أساسها التفضيل، وكلا من النوعين لا يستندان إلى العقل" (سانتيانا، 1988، ص.18)، فالخير والجمال قيمتان غير عقليتان، ومصدرهما عالم الروح، لذلك يصر (سانتيانا) من البداية على وجود اختلاف بين الأحكام الجمالية

والأحكام العقلية، فالأحكام العقلية هي التي تقترب إلى الواقع أكثر. إذن كل من الخير والجمال هما من عالم الروح، لكن لو ننظر إلى القيم الأخلاقية قد تنجم عما هو فضيلة، ولكن الحكم الجمالي يهدف إلى غاية أخرى وهي صنع النشوة، وهنا تبدو أن القيم الأخلاقية والقيم الجمالية تختلف اختلاف واضحا. فكيف يمكن التحديد في ظل هذ الاختلاف؟

وضع (سانتيانا) نقاط الاختلاف بين القيم الجمالية والقيم الأخلاقية وبين أن الاحكام الجمالية ايجابية أساسا بمعنى أنها تنطوي على إدراك ما هو خير في حين أن الاحكام الأخلاقية في أساسها سلبية أي أنها إدراك للشر. إذ أن الجمال هو إدراك لما هو خير والأخلاق هي التي تجانب الشر، وميز (سانتيانا) بين الجمال الذي هو خير في ذاته خال من أي غرض ينبع من الموضوع، أما القيم الأخلاقية فهي ايجابية عندما ينجم عنها أثر نافع من بعض السلوكات التي مصدرها التجربة، فالفرق شاسع بين الجمال الذي هو إدراك لما هو خير وبين الأخلاق التي تهدف إلى تحقيق غاية معلومة، وينبغي أن نحلل بشي من البساطة حتى لا نعقد الأمور، لأن (سانتيانا) انطلق من رؤيته لموضوع الأخلاق من زاوية ما يعرف باللذة، حيث يرى أن الإنسان يناضل من أجل تحقيق هذه الغاية السلوكية، فحسب دراستنا لهذا الفيلسوف فهو يرى أن الإنسان الجاد والعاقل لا بد من أن يثور ضد الفكرة القائلة بأن غاية السلوك السليم هو اللذة، ويعتبر (سانتيانا) أيضا أن هناك من الفلاسفة الذين ينادون بالضمير ويرفضون اللذة، اعتبارا منهم أن الإنسان يجري وراء الملذات، وهذا لا يصلح كونه أخلاقي حيث يقول (سانتيانا) "نجد الأخلاق يدب فيها التهاون والتساهل والاشكال التي تأخذها الحياة بعد ذلك لن يفرضها سلطان الأخلاق، وإنما يحددها هو عبقرية الجنس والفرص السانحة وأذواق الأفراد ويتنازل حكم الواجب والقانون لحكم السماح والحرية" (سانتيانا، 1988، ص.50)، وعلى هذا الأساس يتضح أن (سانتيانا) يعارض الفلسفة الرواقية اليونانية في فلسفتهم الأخلاقية ومن المعروف أن الفلسفة الرواقية الأخلاقية على مبدأ حيث " أن الرواقية انطلقت على المستوى الصعيد الأخلاقي من مبدأ حب البقاء الذي يحفز الكائن على التمسك بالحياة بأي ثمن وما اللذة الا حال ملازمة لبلوغ الكائن الحي هذا الهدف الطبيعي أما على سبيل الرغبة أو النزوع بالنسبة للحيوان أو الإدراك العقلي بالنسبة إلى الإنسان" (فخري، 1991، ص.175)، وقد وجدت اللذة اهتماما كبيرا في هذه المرحلة من التفكير في الفترة الحديثة حيث كل القيم الأخلاقية كان ينظر لها من زاوية تحقيق اللذة، فاللذة في مجال الأخلاق تهدف إلى تحقيق الحياة وغايتها هو أن نحياها بحسب طبيعتنا التي هي تنادي دوما بالفضيلة.

ولقد رأى أيضا (ماكس شيلر) في تقسيمة للقيم الأخلاقية أن هناك نوعين إيجابية وسلبية، حيث يرى أن "هناك قيم إيجابية كما أن هناك قيم سلبية، كما أن عدم وجود إيجابية يعد قيمة سلبية، وكما أن عدم وجودها يعد قيمة ايجابية، وأية قيمة بعينها لا يمكن أن تعد في آن

واحد سلبية أو ايجابية، لأن كل قيمة غير سلبية هي ايجابية والعكس بالعكس" (ابراهيم، 1968، ص .401). وعلى هذا الأساس الذي جاء به (شيلر) في مجال القيم نجد أن (سانتيانا) قد ميز بين القيم الجمالية هي قيم ايجابية وهي التي تعطي الإنسان لذات جديدة وحقيقية، بينما نجد أن القيم الأخلاقية تقتصر على اجتناب الألم ومقاومة الشر، بمعنى أن الأخلاق هي أداة الواجب والصراع مع الذات، لكي نبتعد عن الخطأ، لكن القيم الجمالية هي عالم الحرية واللذات الخالصة النزيهة، وربط (سانتيانا) بين القيمة المباشرة والخبرة الجمالية بحيث جعل الخبرة الجمالية خبرة مباشرة، وجميع الخبرات الجمالية يمكن اعتبارها تأملا وكل تأمل هو خبرة مباشرة، وإن كان بعض التأمل ليس بالضرورة خبرة جمالية، وبهذا يعتقد (سانتيانا) أن القيم الجمالية كما بينا سابقا هي قيم ايجابية، واعتبر أن الأخلاق سلبية، بحيث جعل من القبح ليس فقط مصدرا لألم حقيقي، بل هو في ذاته الألم، وإذا أوحى القبح بمشاعر نفور تهدد الحياة أصبح شرا حقيقيا وكذلك "فإن الشي الجميل الذي يبعث على اللذة لا يكون أبدا كما رأينا موضوع خلقي حقيقي" (سانتيانا،1988، ص.51)، ولذلك دعا (سانتيانا) إلى تخليص الخير الجمالي من تلك المنفعة التي تؤثر عليه، وقد خلصه من تلك الارتباطات العملية التي تنجم عنه، فهذه القيم خالصة تحمل في هذه الحياة تأملا فهي قيم مباشرة، وبالتالي يعتبر (سانتيانا) الخير الأسمى في صفتين خالصتين وهما الانسجام والبساطة فإن الشر يبدو سلبا لهاتين الصفتين. ويرى (سانتيانا) أن هناك عنصر آخر مهم في التمييز بين بين القيم الجمالية والأخلاقية لكي نفصل بينهما وهو "العنصر المعروف باسم العمل واللعب". (سانتيانا، 1988، ص.51) وهذا العنصر تجاوزه (هيغل) نهائيا، ومن المعروف أننا كنا نعتقد أن الأخلاق هي تلك الواقع الذي يفرض نمطا من القوانين، وهذا ما يسمى بالواجب والالزام، والتكليف والصراع للابتعاد عن الخطايا والمزالق، بينما يعتبر عالم الجمال والفن هو عالم الانبساط والحرية والانطلاق للحصول على لذات نقية خالصة، ومن هنا يمكن القول أن الأخلاق عند (سانتيانا) قد اقترنت بالنشاط الجدي الشاق بينما اقترن الفن باللعب أو النشاط الحر.

- خاتمة:

نخلص في نهاية هذا البحث إلى مجموعة من النتائج نخلصها في النقاط التالية:

- التربية الجمالية في الفكر الفلسفي المعاصر مع الفيلسوف (سانتيانا) هي امتداد لفكر جمالي قديم وحديث (أفلاطوني) و(كانطي) و(هيجلي)، ويبدو حضور نظرية (هيجل) في الجمال عند (سانتيانا) حاضرا وبقوة من خلال النقد والتجديد فإذا كانت نظرية (هيجل) في الجمال قائمة على العقل إلى درجة المثالية التي تجعل الجمال حكرا على الفلاسفة فإن نظرية (سانتيانا) في الجمال تعتبر تهذيب لهذه المثالية .وهذا لا يعني أن نظرية (سانتيانا) مجرد محاكاة لما جاء به السابقون

امثال (هيجل)، فقد أخذا فكرة الحب عن(أفلاطون) أو (هيجل) لكنه مزجها بنوع من الحس العام، وتعد الجمالية الكانطية نقطة انطلاقة بالنسبة لجمالية سانتيانا ويبرز ذلك من خلال تأثره بالنقد الكانطي الذي مزج فيه (سانتيانا) بين الإدراك الحسي من جهة وبين النقد من جهة ثانية في إدراكه للقيم الجمالية.

- توصف فلسفة (سانتيانا) الجمالية بالفلسفة الطبيعية أو المذهب الطبيعي وهي لا تخلوا من مثالية الموضوعية، انفرد فيها عن غيره من الفلاسفة من خلال تقديمه لبراهين اثبت بها موقفه من المذهب الواقعي النقدي والذي يعد مفتاح نتمكن من خلاله من فهم نظرية المعرفة لدى أنصار هذا المذهب.

- نالت التربية الجمالية السانتيانية حظ من التقدير في فلسفة القيم فلقد أسس نظريته في الفن والجمال على أساس جمع فيه بين الإدراك الحسي والنقد الفني، وبهذا استطاع أن يؤسس نظرية جمالية تفاعلت فيها الإحساسات المتعالية مع تسليط الضوء لأهم عملية عقلية وهي النقد، كعمل واع في تقييم الأعمال الفنية وإدراك أبعادها وماهيات وجواهر القيم.

- جعل (سانتيانا) جعل من الجمال قيمة ايجابية فهون وع من أنواع اللذات وهو أيضا ذاتي هذين الميزتين يمكن بهما أن نميز بها الجمال ونفصله عن الاخلاق الفصل الكامل فالجمال يبحث عن النشوة والمتعة أما الاخلاق وظيفتها هي تحقيق الخير والابتعاد عن الشر. وهذا لا يعني نفي العلاقة فلكل منهما موضوعه، لكن التكامل قائم بحيث تصبح الأخلاق جزء من اهتمامات الجمال، ومن هنا يكون الجمال وسيلة تربوية.

- وضع (سانتيانا) تقسيما للقيم الإنسانية أو لمفهوم القيم والذي صنف به هذه الأخيرة إلى قيم أخلاقية، عقلية، جمالية وفضل هذه الأخيرة على بقية القيم لأنها قيم إيجابية ومكتفية بذاتها ولا تحتاج إلى غايات وأهداف خارجة عنها لأنها قيم حرة. والإحساس بالجمال عنده عملية إدراكية محكومة بالعقل والحس في آن واحد وبالتالي يمكن القول الإدراك الحسي العقلي الجمال وأساس هذه العملية هو استثارة اللذة أو المتعة الخالصة وأساس الشعور باللذة هو التوافق النفسي مع الطبيعة، وأهم مقومات القيمة الجمالية للعمل الفني هي المادة، الشكل والتعبير.

- امتدت الجمالية السانتيانية في الفكر الفلسفي الأمريكي خاصة عند (جون ديوي) الذي أخذ الكثير عنه فقد تأثر به خاصة في الإحساس بالجمال وكذلك مقومات الجمال وكل ما يخص الخبرة الجمالية، ويمكن القول إن نظرية الجمال عند (سانتيانا) بدأت هيجلية وانتهت براغماتية لتستقر في مستوى الإنسان فنظريته لا هي بالمثالية المتسامية ولا هي بالحسية الساذجة وانما هي نظرية في مستوى الإنسان. ولا قيمة للجمال إن لم يساهم في ترسيخ القيم الأخلاقية الفاضلة.

وعليه يجب تدعيم هذا النوع من الفلسفات التربوية الجمالية في مؤسساتنا التعليمية والثقافية حتى يكون للفن دور ايجابي من جهة ومن جهة ثانية تكون له ضوابط أخلاقية بحيث يتحول الفن والجمال إلى رسالة نبيلة شأنه في ذلك شأن باقي العلوم التربوية.

- قائمة المراجع:

- ابراهيم زكريا. (1966). فلسفة الفن في الفكر المعاصر، ط1، القاهرة: مكتبة مصر.
- ابراهيم زكريا. (1979). مشكلة الفن، ط1، القاهرة: مكتبة مصر.
- ابراهيم مصطفى ابراهيم. (1994). فلسفة جورج سانتيانا، ط1، بيروت: دار النهضة العربية.
- الصباغ رمضان. (1989). الفن والقيم الجمالية بين المثالية والمادية، ط1، بيروت: دار الوفاء للنشر والتوزيع.
- الصباغ رمضان. (2003). جماليات الفن الإطار الأخلاقي والاجتماعي، ط1، الإسكندرية: دار الوفاء للطباعة والنشر.
- برتليمي جان. (1970). بحث في علم الجمال، ترجمة: عبد العزيز أنور، ط1، القاهرة: دار النهضة للطباعة والنشر.
- خضر سناء. (2017). علاقة الجمال بالأخلاق عند سانتيانا، ط1، الإسكندرية: دار الوفاء.
- ديورانت ول. (1988). قصة أفلاطون إلى جون ديوي، ترجمة: المشعشع عبد الله، ط2، بيروت: منشورات مكتبة المعارف.
- رشيد عدنان. (1985). علم الجمال، ط1. بيروت: دار النهضة العربية.
- ريد هيربرت. (1998). معنى الفن، ترجمة: خشبة سامي، ط1، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- سالم محمد عزيز نظمي. (1978). الابداع في علم الجمال، ط1، القاهرة: دار المعارف.
- سالم محمد عزيز نظمي. (1996). القيمة الجمالية والالتزام، ط1، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة.
- سانتيانا جورج. (1988).. الإحساس بالجمال، ترجمة: بدوي مصطفى، ط1، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- سانتيانا جورج. (1996). مولد الفكر وبحوث فلسفية أخرى، ترجمة: لجنة من الأساتذة الجامعيين، ط1، بيروت: منشورات دار الأفاق الجديدة.
- ستولينيتر جيروم. (1981). النقد الفني، دراسة جمالية ترجمة: فؤاد زكريا، ط1، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- صليبا جميل. (1994). المعجم الفلسفي، ج2، ط1، بيروت: دار الكتاب اللبناني.
- عباس راوية عبد المنعم. (1987). القيم الجمالية، ط1، الإسكندرية: دار المعرفة.
- عبيد سعيد علي. (2017). فلسفة القيم عند جورج سانتيانا، ط1، نيوبوك للنشر والتوزيع.

- فخري ماجد. (1991). تاريخ الفلسفة اليونانية من طاليس إلى أفلاطون، ط1، بيروت: دار العلم للملايين.

- Santayana George. (1982). reason in art vol ,four (lif of reason). dover edition ,first published ,New-York.

- Singer Irving. (1957)., Santayana's Aestheticz-A critical Introduction, The President and fellows of Harvard College, U.S.T.

- Guy. W. Stroch. (1968). Americcan Philosophy from Edwards to Dewey, An Introduction, van Nostrand Reinhold Company, New York.